﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشّعراء: 210 - 212]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من دفعِ التّهم عن مرسِل الرّسالة، إلى دفعِ التُّهم عن المرسَلِ بها

لمّا كان القرآنُ الكريم بَلَغ منَ الفصاحة والبلاغة ما بلغ، وقد أخبر اللّهُ قبلَ هذه الآياتِ أنّه تنزيلُ ربّ العالَمين، نزل به جبريلُ الأَمينُ على النّبيّ ﷺ؛ فلمّا كان القرآنُ بتلك الفصاحة، قال المشركون: إنّ محمّدًا كاهِنٌ، وما يتنزّل عليه إنّما هو من جنس ما يتنزّل به الشّياطينُ على الكَهَنة، فكُذِّبوا بأنّ ذلك ممّا لا يُمَكَّن للشّياطين، ولا يقدرون عليه، لأنّهم مرجومون بالشُّهُب، معزولون عنِ استماع كلام أهل السّماء[1]؛ فهو انتقالٌ من دفع ما يعتقده المشركون منَ الظُّلم في حقِّ اللّه تعالى إذا أُنزل عليهم العذابُ، إلى دفع ما يعتقدونه في شأن الرّسالة والرّسول ﷺ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَنَزَّلَتْ﴾: (نزل) أصلٌ يَدُلُّ على هُبوطِ شَيْءٍ ووُقوعِه[2]، يُقالُ: نَزَلَ الشَّيء، ينزلُ، نُزولًا، أي: هَبَط وانحَدَرَ مِنْ عُلوٍّ إلى سُفْلٍ؛ وأنزلَ الشَّيءَ: جعلَه يَنزِل[3]، والتَّنْزيل: ترتيبُ الشَّيْءِ ووَضْعُهُ مَنْزِلَهُ؛ والتَّنَزُّلُ: النُّزول في مُهْلَةٍ[4]، ولا يقال في المُفتَرَى والكَذِبِ وما كان منَ الشَّيطان إلّا التَّنَزُّلُ[5]، والمقصود به في قول اللّه تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ أي: لا ينبغي للشَّياطينِ، ولا يَستطيعونَ مثلَه.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 339.
(2) الأزهريّ، مختار الصّحاح: (نزل).
(3) الأزهريّ، مختار الصّحاح: (نزل).
(4) الأزهريّ، مختار الصّحاح: (نزل).
(5) الرّاغب، المفردات: (نزل).

2) ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾: (بغي) أصلٌ يدلُّ على طَلَبِ الشَّيْءِ[1]، ومنه البُغيَةُ: مصدرُ الابتغاء، تقول: هو بُغْيَتي، أي: طلبتي وطيَّتي؛ وبَغَيْتُ الشّيء أَبغيه بُغاء؛ وابتغيتُه: طلبتُه[2]؛ ويُقال: انبغى لفُلان أَن يفعل كَذا، أَي: صَلَح لَهُ أَن يفعل، وكَأَنَّهُ يطلب فعل كَذا، فانطلب لَهُ، أَي: طاوعَه ولكنّه اجتُزِيء بقَوْلهم: انبغى[3]، والمعنى في الآية ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: ما يصلُح للشَّياطين أن يتنزّلوا بالقرآن على النَّبي ﷺ.

3) ﴿ٱلسَّمْعِ﴾: (سمع) أصلٌ يدلُّ على إيناسِ الشَّيءِ بالأُذُنِ، منَ النّاسِ وكُلِّ ذي أُذُنٍ؛ تَقولُ: سَمِعْتُ الشَّيءَ سَمعًا[4]، والسَّمعُ: قوَّةٌ في الأُذن تُدرَكُ بها المسموعاتُ، وفِعله يُقالُ له السَّمعُ أيضًا[5]، والجَمع أسماع، والسَّماعُ: ما سَمِعْتَ به فشاع وتُكُلِّمَ بِهِ[6]؛ والاستِماعُ: الإصغاء[7]، والمقصود بالسَّمعِ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾: سَمعُ أَخبارِ السَّماء، أو سماعُ القرآنِ[8]؛ ويجوزُ أن يراد به الآلةُ، وهي الأُذن.

4) ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: (عزل) أصلٌ صحيحٌ يدلّ على تَنْحيَةٍ وإمالَةٍ[9]؛ فالعَزْلُ: التَّنْحيَةُ والإبْعادُ، يُقال: عَزَلَ الشَّيْءَ، يَعْزِلُهُ، عَزْلًا، وعَزَّلَهُ تَعْزيلًا، فاعْتَزَلَ: نَحّاهُ جانبًا وأَبْعَدَهُ[10]، والعُزْلَةُ: الابْتِعادُ عنِ النّاسِ، ويُقالُ: عَزَلَ عنِ المَرْأَةِ واعْتَزَلَها: إذا لَم يُرِدْ ولَدَها[11]، ومِن مَعانيه أيضًا: المَنْعُ والتَّرْكُ، والمُراد به في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾: المنعُ والإبعادُ، أي: لَممنوعون بالشُّهُب بعدَ أن كانوا مُمَكَّنين[12].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ادّعى المشركون أنَّ القرآن كانت تتنزّل به الشّياطينُ على الرّسول ﷺ، فرَدَّ اللهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).
(2) الخليل، العين: (بغي).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بغي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سمع).
(5) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (سمع).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن الأثير، النّهاية: (سمع).
(7) الرّاغب، المفردات: (سمع).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 653.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عزل).
(10) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (عزل).
(11) الجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم: (عزل).
(12) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 103.

نـفـيُ ادِّعـــاءِ المُـبـطِـلـين، بتعليلٍ وبُرهانٍ يقين

سبحانه وتعالى هذا الادّعاءَ بقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ ولا جازَ لهم، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك، وقد حيل بينَهم وبينَ السَّمع[1]، فأثبتَ بهذا النَّفي الرِّسالةَ بالحَقِّ، وأنَّ القرآن كلامُه سبحانه وتعالى، بنفي قدرة الشّياطين عن تلقّي السّمع الذي قد عُزِلوا عنه؛ فهو نفيٌ معلَّلٌ، مقنِعٌ للعَقلِ، مُؤثِّرٌ فيمَن عندَه قلبٌ واعٍ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ واوِ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ﴾ ودلالتُها:

التّأكيد على تنزُّل جبريلَ بالقرآن منَ الله، بنفي تَنزُّلِ الشّياطينَ به

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ عاطفةٌ، عطفت الآيةَ على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ [الشُّعَراء: 192]، ودلالةُ العطفِ تأكيدٌ على تأكيد؛ فأكَّدت جملةُ المعطوف عليه أنَّ القرآن تنزيلٌ منَ الله على النّبيّ ﷺ بواسطة جبريلَ عليه السلام، ثمّ جاءتِ الجملةُ المعطوفة لِتُؤكِّدَ هذا المعنى بأسلوب النّفي، وأنّ الشّياطين ما كان لهم دورٌ أبدًا في هذا التّنزيل.

نُكْتَةُ النّفي بأداة (ما):

النَّفيُ يستغرق دعاوى المشركين جميعَها

النّفيُ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ فيه تأكيدٌ وتحقيقٌ وتقرير لعدم تنزّل الشّياطين بالقرآن، أو التّدخُّلِ فيه البتَّةَ بالخَلْط؛ وذلك أنَّ ورودَ (ما) لنفي عموم تنزّل الشّياطين، فدَلَّ العمومُ على الاستغراق الشّموليّ، وهذا تأكيدٌ بالغٌ شاملٌ لجميع أفراد الشّياطين المزعومة، ممّا قيل صراحةً، وممّا أضمرتْه النُّفوسُ؛ والمشركون ادّعَوا الكهانةَ على النّبيّ ﷺ، وزعموا أنَّ شيطانًا كان يتنزّل عليه، ولمّا انقطعَ الوحي عنه فترةً قالوا: ترَكه رَئيُّه منَ الجِنّ؛ فكان منَ المناسِب تحقيقُ النّفي بلفظ (ما).

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 652، والسّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 569.

دلالةُ اختيارِ فِعلِ التَّنزُّل:

دقَّةُ الاستعمالِ تُنبِئُ عن واقعِ الافتراء

اختار النّظمُ الكريم فعلَ التَّنزُّل في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؛ لأنّه يكشِف عنِ التّخرُّصات التي يدَّعيها المشركون، مِن أنّ تنزُّلَ القرآن كان بفعل الشّياطين، فالقرآنُ نزل تدريجيًّا، وهم يعلمون ذلك لِما يشاهدونه من وقائعِ التّنزيل؛ فكانت دعاواهم مطابِقةً للواقع المشاهَد، فجاء النَّفي كذلك منسابًا مع هذا الواقع.

فائدةُ مجيءِ فعلِ التّنزُّلِ ماضيًا:

نُفيَ الماضي ليكونَ مهادًا لنفْيِ الحالِ والاستقبال

دلّت صيغةُ الماضي في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ على تحقيق عدم تنزّل الشّياطين بالقرآن على النّبيّ ﷺ، وأنّ القرآنَ بعيدٌ عن طاقات الشّياطين، وليس في مقدور الجنّ أن ينفذوا إليه من أدنى سبيل؛ فانصبَّ النّفيُ على الماضي، ليَشملَ نفيَ الحالِ والاستقبالِ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

معنى الباءِ في ﴿بِهِ﴾، وتعيينُ مَرجِعِ الضّمير:

القرآنُ كتابٌ عزيزٌ، لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه ولا من خَلفِه

الضّمير في ﴿بِهِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ يعود على القرآن، وحرفُ الباء في ﴿بِهِ﴾ يحتمل أن يكون للتّبعيض، ومعنى هذا: أنّ الشّياطين ليس لها القدرةُ في أن تتنزّل على النّبيّ ﷺ ببعض آيةٍ من آيات القرآن الكريم، ويحتمل أن يكون الباء للإلصاق، والمعنى: (ليس في طوق الشّياطين أن يلابسوا التّنزيل)، فهو أعزُّ من أن ينالَه عبثُهم.

نُكتَةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿بِهِ﴾ على الفاعل:

دقائقُ النَّظم متعلّقةٌ بحقائق المعاني وتجلّيات الحقائق

في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿بِهِ﴾ على الفاعل ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، وهذا التّقديم يُناسِب سياقَ الحديث عن القرآن، فهو المقصود بنفي الرَّيب عنه في السّياق كلِّه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشّعراء: 192 - 193]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشّعراء: 196]، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ

عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ [الشعراء: 198]؛ ومن ثمَّ فإنَّ القرآن هو مِحوَرُ النّظام، فكان تقديمُه أولى، لفتًا إليه، وتركيزًا عليه.

فائدةُ تعريف لفظِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾:

اللّام في لفظ الشياطين في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ للعهد، أي: أنّ هناك أنواعًا منَ الشّياطين معهودين لدى المُخاطَبين في وهمِهمُ الفاسد، موصوفين بالتّمرُّد، يحاولون الصّعود إلى الملأ الأعلى، واستراقِ السّمع؛ ولكن هيهاتَ هيهاتَ، فإنّ الشّهابَ الثّاقبَ لهم بالمِرصاد.

الـشّـيـاطـين - وإن غـابت عـن الأبصار - لكنَّها حـاضـرةٌ في الخيالات

نوع واو ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾ ودلالتُها:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ عاطفةٌ، عطفت هذه الجملةَ على قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ﴾، ودلالةُ هذا العطفِ: التّأكيد القويُّ، والتّركيزُ الشّديدُ على أنّ الشياطين ليس في مُكْنتهمُ الاقترابُ من آيات القرآن والتّنزُّلُ بها على النّبيّ ﷺ، وأنّهم لا يصلحون لهذا الأمر.

ليس في طَوق الـشّـيـاطـين الـعـبثُ بآيات القرآن

فائدةُ النّفي بأداة (ما):

آثَرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ (ما) دون (لا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾، فلم يُقل: (ولا ينبغي)؛ وذلك لأنّ (ما) تأتي نفيًا للفعل المُؤكَّد المُدَّعَى وقوعُه، وهي تَعُمُّ كلَّ ما يُتصوَّر من تخرُّصات الأفّاكين، في الأزمان كلِّها، فلمّا زعم المشركون أنَّ الذي ينزل على النّبيّ ﷺ إنَّما هو من زمزمات الشّياطين المُلقاة على الكَهَنة؛ جاء النَّفيُ القويُّ بـ(ما) موافِقًا لاعتقادِهم؛ ليَجتثَّ هذا الوهمَ المزعوم، والزَّعمَ المَوهوم.

ادِّعـاءاتُ الـمـشـركـين لا تَـعْـدو أن تكونَ سرابًا

بلاغةُ اختيارِ ﴿يَنۢبَغِي﴾ دون (يكون):

اختيرَ فعلُ الانبغاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ دونَ غيرِه من مرادفاته، كفعل الكَون مثلًا، وسببُ ذلك: أنّ الانبغاءَ

نـفـيُ صلاحيّةِ الشّياطين بتَنزّل القرآن جاء على أكملِ الوجوه

يمتاز عنِ الكوْن بأنّ له دلالاتٍ متعدّدةً تتناسب مع نفي تنزّل الشّياطين بالقرآن على النّبيّ ﷺ، فالفعلُ ﴿يَنْبَغِي﴾ مطاوِعُ (بغى)، أي: طلب؛ والابتغاء خُصّ بالاجتهاد في الطّلب[1]، فظَنّ هؤلاء أنَّه مع هذا الاجتهاد ودلالةِ المُطاوعة سهولةُ تنزّل الشّياطين بالقرآن، فجاء النّفيُ بلفظٍ يحمل منَ الدّلالات المُتعدّدة القاطعة بعدم تمكّن الشّياطين من ذلك، ومن هذه الدّلالات: لا يتأتّى، ولا يمكن، ولا يستقيم، ولا يليق، ولا يصْلُح، ولا يصِحّ، ولا يَتَسهّل للشّياطين أن تفعل هذا؛ فجاء النّفي بالانبغاء على أكمل الوجوه.

دلالةُ استعمالِ المضارع ﴿يَنْبَغِي﴾:

نفيُ تنزُّلِ الشياطين بالقرآن في الأزمان كلِّها

لمّا كان المضارع دالًّا بصيغته على التّجدُّد المُؤذِن بوقوع الشّيء مرّةً بعدَ مرّةٍ، لزم أن يكون نفيُ الانبغاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ متجدِّدًا في الحال والاستقبال، وهذا إبطالٌ لزَعْم المشركين من أنَّ الكَهَنةَ كان لهم دورٌ في نزول القرآن على النّبيّ ﷺ؛ فكانوا يَصِفونه بالكهانة، وأنَّ ما ينزل عليه من جنس ما يتنزَّل به الشّياطينُ على الكَهَنة، فكذَّبهمُ اللهُ ﷻ، بأنّ ذلك ممّا لا يتسهّل للشّياطين ولا يَقدِرون عليه، مهما طلبوه مَرّةً تِلوَ الأخرى، وحاولوا الوصولَ إليه مجدّدًا؛ لأنَّهم مرجومون بالشّهاب، معزولون عن السّماع[2].

غرَضُ حذفِ فاعلِ ﴿يَنْبَغِي﴾:

إطلاقُ الفعلِ ليشملَ كلَّ ما تزعمُه أوهامُ المُكذِّبين

حُذف فاعلُ ﴿يَنْبَغِي﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾، والفاعلُ إمّا أن يكون القرآنَ، أي: (وما يَنْبَغي القُرْآنُ لَهُم)[3] – وعلى هذا يكون لفظُ القرآن حُذِف صيانةً له وبُعْدًا من أن ينالَه وهمُ شيطان –، وإمّا أن يكون التّنزُّلَ، وتقديره: (وما ينبغي تنزُّلُ الشّياطين بالقرآن)، وحُذِفَ

(1) الرّاغب، المفردات: (بغى).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 339.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 199.

لدلالة ما قبلَه عليه ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، ولا موجِبَ لتكرارِ فعلِ التّنزّل، ثمّ إنَّ النّظم القرآنيَّ أخفى هذا الفاعلَ لعدم الاعتداد به، وأنَّه في حيِّز العدم، خاصّة وقد سَبَق نفيُه، وللإشعارِ بأنَّه لا ينبغي لهم شيءٌ من هذا القبيل؛ فأفاد إطلاقُ الفعل ذهابَ النَّفي في كلِّ ما يتوهَّمه الوهمُ الخالي منَ الحقِّ والإيمان.

معنى لامِ ﴿لَهُمْ﴾ ودلالتُها:

الظّاهر أن يكون معنى اللّام في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ الاختصاصَ، وفيها دلالةٌ على أنّ الشّياطين، مهما بلغوا منَ التّمرُّد والشّيطَنَة، فإنَّهم لا يستطيعون الاقترابَ منَ القرآن، ولا قذفَه مخلوطًا إلى النّبيّ ﷺ؛ فهم أقصرُ هِمَّةً، وأضعفُ نَحيزَةً، مِن أن ينالوا ذلك.

الشّياطين أضعفُ من أن يتعلَّقوا منَ القرآن بسبب

نوعُ واوِ ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ودلالتُها:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ عَطفت الجملةَ على ما قبلها ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾، ودلَّ العطفُ على شِدّة التّأكيد على عدم استطاعة الشياطين نَيلَ القرآن بالخلط والتّمويه.

دلالة العطف على عدم استطاعة الشّياطين النَّيلَ منَ القرآن بالخلط والتّمويه

نُكْتَةُ تكرارِ النّفي بأداة (ما):

سبقتِ الإشارةُ إلى نُكْتَة النّفي بأداة (ما) في قول الله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾، وقولِه تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، وقولِه تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾؛ وفي هذه الجملة ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أُعيدت مرَّةً أُخرى لتحقيق عدمِ استطاعة الشّياطين، وتأكيدِ عدمِ قدرتهم على المساس بالقرآن، وفيه دليلٌ على إرادة ما في هذه الأداة منَ البيان اللّغويّ، بشمولِها لجميع أشكالِ الاستطاعة المزعومة، وإبطالِ زَعم المشركين في أنَّ الشّياطين كان لهم دورٌ في هذا الأمر.

تحقيقُ عدمِ استطاعة الشّياطين التّنزلَ بالقرآن

بلاغةُ اختيارِ فعلِ الاستطاعة:

من بديعِ الاختيار الإتيانُ بفعل الاستطاعة في قول الله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، لأنَّها تحمل منَ الدّلالات التي اقتضاها النّظم، فالاستطاعةُ مأخوذة منَ الطَّوْعِ، والطّوعُ: الانقياد؛ وتكون الاستطاعة بوجود ما يصير به الفعلُ متأتّيًا، وبها يتمكّن الفاعلُ ممّا يريده من إحداث الفعل[1]، فالاستطاعةُ بمعنى الطّاقة؛ والاستطاعةُ: القُدرةُ على الشَّيء[2]، فهذه المعاني - الانقياد والطّاقة والقدرة - دخلت في مفهوم لفظ الاستطاعة؛ ليتحقَّق نفيُها كلِّها؛ فليس القرآنُ مُنقادًا ليتلاعبَ به الشَّياطين، وليس في طاقتهم وقدرتهم التّكذيب فيه.

الشّياطين مسلوبو الطّاقةِ والقدرةِ على المِساس بالقرآن

بلاغةُ ترتيبِ الأفعال المنفية:

الأفعالُ المنفيّة ﴿تَنَزَّلَتْ﴾ و﴿يَنْبَغِي﴾ و﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ جاءت منفيّةً على أحسن ترتيبٍ في الآيتين: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، نفى أوّلًا تنزيلَ الشّياطين به، والنّفيُ في الغالبِ يكونُ في الممكن، وإنْ كان هنا لا يمكن للشّياطين التّنزُّل بالقرآن؛ ثمّ نفى ثانيًا انْبِغاءَ ذلك وصلاحيَّتَهم، أي: ولو فُرِض الإمكانُ لم يكونوا أهلًا له؛ ثمّ نفى ثالثًا قدرتَهم على ذلك، فارتقى النّظمُ الحكيم من نفي الإمكان، إلى نفي الصّلاحيّة، إلى نفي الاستطاعة والقُدرة؛ وذلك مبالغةٌ مترتّبةٌ في نفي تنزُّلِهم به[3].

نفيُ التّنزّل الماضي، ثمّ الأهليّة في الحاضر، ثمّ الاستطاعة في المستقبل

غرضُ حذفِ مفعولِ فعل الاستطاعة:

حُذف مفعولُ فعل الاستطاعة في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ لتعميم النَّفي، فجائزٌ أن يكون المنفيُّ النّزولَ بالقرآن منَ السّماء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[4]؛ أو أن يكونَ حملَ القرآن، ولو فعلوا ذلك لاحترقوا، وهذا مرويٌّ عن ابن عبّاس[5]، بل إنّهم لا

سلْبُ الشّياطين كلَّ وسائلِ القدرةِ المتُخيَّلة

(1) الرّاغب، المفردات: (طوع).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (طوع).
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 196، وابن عطيّة، الدّرّ المصون: 8/ 563.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 653.
(5) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 569.

يقدرون على ذلك أصلًا[1]؛ وجائزٌ أن يكون التّقدير: (ما يَسْتَطيعونَ تَلَقّيَه)[2]، أو أنَّهم لا يمكن أن ينقلوه أو يسرقوه[3]، فأعطى الحذفُ هذا الثّراءَ المعنويَّ، ولو ذُكِر المفعولُ لضاق المعنى، ولَحُصِر في الشّيء المذكور؛ فأفاد الحذفُ إطلاقَ المعنى، ليَشملَ كلَّ وسائلِ القدرةِ، ولبيان أنَّهم أعجزُ من أن ينالوا القرآنَ بشيءٍ.

بلاغةُ الاستئناف البيانيّ بـ﴿إِنَّهُمْ﴾:

تعليلُ الأخبار أرسـخُ في تثبيت المعاني والدّلالات

فُصِلت جملة ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ عمّا قبلها: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ لأنَّها وقعت استئنافًا بيانيًّا لما قبلها، وهو ما يُسمى عند البلاغيين بشِبه كمالِ الاتّصال؛ حيثُ أثارت الآيةُ السّابقة سؤالًا في النَّفس: ما سِرُّ عدمِ استطاعة الشّياطين فعلَ ذلك؟ فجاءت جملة ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ جوابًا عن هذا التّساؤل، وتعليلًا لعدم الاستطاعة، وهذا التّعليل أكّد على عدم قدرة الشّياطين في أن يكون لهم مدخلٌ في القرآن المُنزَّل على النّبيِّ ﷺ.

معنى حرف ﴿عَنِ﴾:

نُحِّيَ الشّياطينُ وأُبعِدوا عنِ استراق السّمع منَ السّماء

أفاد حرف ﴿عَنِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ معنى المجاوزة؛ أي: أنَّ الشياطين نُحّوا وأُبعِدوا عنِ استراق السّمع منَ السّماء، فالقرآنُ محجوبٌ عنهم.

بلاغةُ اختيارِ مفردة ﴿ٱلسَّمْعِ﴾:

نفيُ أقلِّ السّمعِ يقتضي نفيَ الاستماع

آثَرَ النّظمُ الكريمُ استعمالَ السّمعِ دونَ الاستماع في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾؛ للمبالغة في نفي أدنى سمعٍ؛ لأنّ السّمع مصدر (سَمِع)، وهو سماعٌ دونَ تهيُّؤٍ وترقّبٍ وتنصّت للشّيء المسموع، فقد يسمع الإنسانُ الشّيء عرَضًا، دون أن يكون له قصدٌ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 130.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 199.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5414.

في سماعه؛ عكسَ الاستماع، فهو منَ الفعل (اسْتَمَع)، والاستماعُ الإنصات[1]، فيكون النّظمُ نفَى الأقلّ، ونَفيُ الأقلِّ يقتضي نفيَ الأكثر.

نوعُ لامِ ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ ودلالتُها:

اللّام المُزحلَقة لتوكيد معنى المنعِ والإبعاد

(اللّام) التي دخلت على فعل العزل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾، داخلةٌ على خبر (إنّ) المكسورةِ الهمزة، وهي اللّام المُزحلَقة، جاءت لتوكيد معنى المنع والإبعاد، وأنّ الشّياطين بمعزلٍ عنِ الاستراق.

بلاغةُ اختيارِ مفردة العَزْل:

العَزل دالٌّ على منع الوصولِ للمطلوب، فضلًا عنِ الإبعاد بعدَ الوصول

اختار النّظمُ القرآنيّ مفردةَ العزل دون مرادفاتها في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾؛ وذلك لأنَّ لفظَ العزل يدلُّ على المباعدة التّامّة، والمفارقة الكاملة بينَ المعزول والمعزول عنه، بحيثُ لا يلتقيان، ولو قيل: (لَمُبعَدون) لأوهمَ أنَّهم أدركوا السّمعَ لكنَّهم بَعُدَ ذلك قد أُبعدوا، بخلاف العَزل، فهو ينفي أن يكون هناك بلوغٌ للسّمع بتاتًا؛ فهو أبلغ في النَّفي، وأدقّ في بيان المطلوب.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاستطاعةُ والقُدْرةُ:

الاستطاعةُ أخصّ منَ القُدرة، والقدرة القيامُ بالفعل عنِ اكتمال

الاستطاعة: انصياغُ الجوارح للفعل، والقدرة هي ما أوجب كونَ القادر عليه قادرًا على الفعل؛ ولذلك لا يوصَف اللّهُ تعالى بأنّه مستطيع، ويوصَفُ بأنّه قادر، والاستطاعة اسمٌ لمعانٍ يتمكّن بها الفاعلُ ممّا يريده من إحداث الفعل، وهي أربعة أشياء: إرادتُه للفعل، وقدرتُه على الفعل، بحيثُ لا يكون له مانعٌ منه، وعِلمُه بالفعل، وتهيُّؤ ما يتوقّف عليه الفعلُ، فعلى هذا تكون الاستطاعةُ أخصَّ منَ القُدْرة، فكلُّ مستطيع قادرٌ، وليس كلُّ قادرٍ بمستطيع[2].

(1) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (سمع).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 47.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»